مجلة الدراسات اللغوية والأدبية
SUST Journal of Linguistic and Literay Studies
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

دواعي التفنن في القران الكريم

صديق مصطفي الريح – جامعة الخرطوم كلية الاداب

المستخلص

يناقش هذا البحث مفهوم التَّفنُّن كما يظهر من أقوال العلماء ، والتَّدليل على معرفة العرب في استعمالاتهم المختلفة للتَّفنُّن في الكلام ، ودواعي نقله من أسلوب إلى أسلوب . كما وقف الباحث عند شيوع هذه الظَّاهرة في النَّصِّ القرآنيِّ بوصفه جزءًا من طريقة القرآن ، بل باباً من أبواب الإعجاز .

ثمَّ انتقل إلى التَّفصيل في دواعي ذلك التَّفنُّن مستشهدًا ببعض نماذجه ومناقشتها باتِّباع المنهج الوصفيِّ التَّحليليِّ ، ممَّا قاد إلى جملة نتائج تتعلَّق بتلك الدَّواعي وهي :

الإعجاز والتَّحدِّي للعرب فيما يحسنون ؛ وليكون بذلك حجَّة عليهم –زيادة المعاني الَّتي تفيدها هذه المغايرة بين الألفاظ أو التَّراكيب – مراعاة حسن النَّظم وذلك بالتَّفنُّن في صور الكلام بما يجعله أبلغ وأجمل من حيث نظمه – مناسبة السِّياق بالمخالفة بين الألفاظ والتَّراكيب بما يتَّسق مع السِّياق الَّذي ترد فيه – التَّناسب المعنويُّ باستخدام لفظ دون آخر مراعاة للمعنى في الموضع المعيَّن– تجديد نشاط السَّامعين ، وذلك باتِّباع سنن العرب بالعدول من أسلوب إلى آخر تنشيطاً للسَّامع– كراهية تكرار اللَّفظ والصِّيغة فيما لا يقتضي التَّكرار بقصد التَّهويل ونحوه .

Abstaract

This research discusses the concept of mastery as shown by the scholars' opinions, and the proof of the knowledge of the Arabs in their different uses of speech and the reasons for his transfer from style to style. The researcher also stood at the prevalence of this phenomenon in the text of the Qur'an as a section of miracles.

He then went on to elaborate on the reasons for this specialization, citing some of his models and discussing them by following the analytical descriptive approach, which led to a number of results related to these reasons:

-Miracles and challenge to the Arabs as they do good; And to be an argument for them - to increase the meanings of this heterogeneity between the words or structures - the observance of good systems and by understanding in the images of speech, making it the most beautiful and beautiful in terms of its systems - appropriate context in the violation of words and structures consistent with the context that appear - the moral proportion of the use of a word without another to take into account the meaning in the specific position - the renewal of the listener, by following the Arabs styles who change from one method to another to activate the hearing - hate repeating the word and formula, And so on.

دواعي التَّفنُّن في القرآن الكريم

حسب ما يظهر من استعمال من ذكر كلمة التَّفنُّن ومشتقاتها من العلماء أنها جاءت بمعنى تنويع الأساليب ، مع التَّصرُّف والتَّوسُّع فيها بالمغايرة بين طرائق القول.

أمَّا بالنِّسبة للنَّص القرآنيِّ فقد شاع التَّفنُّن الأسلوبيُّ فيه، إلى الحدِّ الَّذي يمكننا وصفه فيه بالظَّاهرة ، ففي أقوال – المتأخِّرين والمعاصرين خاصَّة – ما يدلُّ على أنَّ التَّفنُّن ظاهرة أسلوبية انتظمت الكتاب بكامله ، إذ لم يأت فيه الكلام – إذا نظرنا إليه نظرة كلِّيَّة –على طريقة واحدة ، ويكفي أن ندلِّل على ذلك بقول الألوسي (ت 1270 هـ) : "وبالجملة التَّفنُّن في التَّعبير لم يزل دأب البلغاء ، وفيه من الدَّلالة على رفعة شأن المتكلِّم ما لا يخفى ، والقرآن الكريم مملوء من ذلك ". (الألوسي ، **1415 هـ** ، 1/ 269) كما يفهم كون التَّفنُّن ظاهرة في القرآن من تكرار ابن عاشور عبارة : " على عادة القرآن في التَّفنُّن " في أكثر من موضع.

وقد التفتت العرب إلى التَّفنُّن في استعمالاتها : لأنَّ العرب تفرُّ من التَّكرار وإعادة اللَّفظ بعينه لما فيه من استكراه السَّامع ، والثَّقالة على المستمع . أمَّا إيراد المعنى الواحد في قوالب مختلفة من الألفاظ فقد نبَّه أئمة الأدب على عدِّه من التَّفنُّن العجيب والتَّصرُّف الغريب.وهذا ما نجده في أسلوب القرآن الَّذي تنهض إعجازيَّته على اللُّغة ؛ لأنَّ عظمة القرآن في اللُّغة تجسِّد عظمة العرب فيها. وهم معدن الفصاحة وسلاطينها ؛ وإلا لما كان للإعجاز القرآنيِّ من معنى يذكر. فلا عجب أن يكون التَّفنُّن جزءًا من طريقة القرآن ، بل باباً من أبواب الإعجاز؛ وقد أشار إلى هذا المعنى عدد من أهل العلم كالباقلاني (ينظر: الباقلاني ، 1422هـ ، 2/ 800) وغيره .

دواعي التَّفنُّن

فيما يلي تفصيل الكلام بذكر بعض من دواعيه الَّتي ألمحنا إليها في الصفحات السَّابقة ، وهي أكثر ممَّا يحصى ؛ فلذا كان الاقتصار على أهمِّها :

أوَّلا الإعجاز والتَّحدي :

من المعلوم أنَّ العرب بلغت حدَّ الفصاحة والبيان، ، وكان عندهم من القدرة على التَّفنُّن في ضروب القول، والتَّذوق للكلام البليغ القدر الَّذي لا يُضاهى، وفي ذلك قال ابن الأثير عنهم " كانوا أفصح النَّاس ، وأبلغهم ، وأكثرهم قدرة على التَّفنُّن في الكلام". (ابن الأثير، 1375هـ ، ص73) فلا غرو أن يجيء التَّحدي لهم بما يملكون أدواته ، وعندهم أُصولُه ، ولهم فيه جولة وصَولَةٌ ، ألا وهو التَّفنُّن في فنون البلاغة ، و" الخوض في وجوه الفصاحة ، والتَّصرُّف في أساليب الكلام ، وهو أعظم منتحلاتهم ، فجاءهم بما أعجزهم من القرآن الكريم. قال تعالى: چ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ڦ ڦ ظَهِيرًا چ [الإسراء: 88] " (القاسمي ، 1418 هـ ، 60/1).

فلمَّا تحدَّاهم الله به عرفوا عجزهم عن الإتيان بمثله، فاتَّجهوا إلى محاربته بأنفسهم وأموالهم، مع أنَّه قد طُلِبَ منهم ما هو أقلُّ من ذلك، وهو معارضة هذا القرآن، فلمَّا لم يعارضوه ثبت وقوع التَّحدِّي إلى يوم القيامة ؛ لأن من كان أقدر على المعارضة أبان عن عجزه، وأظهر عدم قدرته، فمن كان بعدهم ممن بَعُدَ عن تلك اللُّغة الشَّريفة أولى بالعجز وعدم القدرة. وإذا كان هذا بيِّناً فإنَّه يظهر أنَّ التَّحدي لم يكن بغير ما كانوا بارعين فيه، عارفين له، ومالكين لأزمَّة أمره، وهو جانب النَّظم والبيان". (الطيار ، 1433 هـ ، 50)

وكما قال الرَّافعي : " كان فحول الشُّعراء من الجاهليَّة كأنَّ كلَّ واحد منهم قبيلة في التَّفنُّن والإبداع :مجازاً، واستعارة ، وبديعاً . ثمَّجاء القرآن الكريم فكان الغاية كلَّ ها "؛ (الرافعي ، **2002 م** ، 20) لأنَّ ما عرف للعرب من ذلك قليل في جنب ما أتى به القرآن الكريم ، وهذا معنى من معاني إعجازه ، كما يقول في كتاب آخر (الرافعي 2000م ، ص 181).

والإعجاز عنده هو أدقُّ وصف وأصحُّه في صفة القرآن حين يقول : " وإنَّك لتحارُ إذا تأملت تركيب القرآن ، ونظَم كلماته في الوجوه المختلفةالَّتي يتصرَّف فيها ؛ وتعقد بك العبارة إذا أنتَ حاولت أن تمضي في وصفه حيثُ لا ترى في اللُّغة كلِّ ها أدلَّ على غرضك ، وأجمع لما في نفسك ، وأبينَ لهذه الحقيقة غير كلمة الإعجاز". (الرافعي ، **2005 م** ،170/1)

ومن أمثلة ذلك الأسلوب المعجز قوله تعالى : چ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ چ [آل عمران: ١٢٠]. فالتّعبير هنا بالمسِّ مع الحسنة ، وبالإصابة مع السَّيئة لمجرَّد التّفنُّن في التّعبير على سبيل الاستعارة المكنيَّة. وهذا كما قيل " من بديع الكلام الّذي تتقطّع دونه الأعناق" . (صافي ، 1418هـ ، 295/4) و بيان وجه الإعجاز في ذلك أنَّ المعنى " إن تمسسكم أيُّها المؤمنون حسنة ؛ أي نعمة من ربكم : كالألفة ، واجتماع الكلمة والظّفر بالأعداء ؛ تسؤهم ؛ أي تحزنهم وتغظهم . وإن تصبكم سيئة ؛ أي محنة كإصابة العدوِّ منكم ، واختلاف الكلمة فيما بينكم يفرحوا ؛ أي يبتهجوا بها . وفي ذلك إشارة إلى تناهي عداوتهم إلى حدِّ الحسد والشَّماتة . والمسُّ قيل : مستعار للإصابة ، فهما هنا بمعنى ، وقد سوِّي بينهما في غير هذا الموضع كقوله تعالى چإِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن چ چچ. [التوبة: ٥٠] وقوله سبحانه : چ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا چ، [المعارج: 21–22]والتّعبير هنا بالمسِّ مع الحسنة ، وبالإصابة مع السَّيئة لمجرَّد التّفنُّن في التّعبير .وقال بعض المحقّقين : " الأحسن والأنسب بالمقام ما قيل : إنَّه للدّلالة على إفراطهم في السُّرور والحزن ؛ لأنَّ المسَّ أقلّ من الإصابة كما هو الظّاهر ، فإذا ساءهم أقلُّ خير نالهم فغيره أولى منه ، وإذا فرحوا بأعظم المصائب ممَّا يرثى له الشَّامت ويرقُّ الحاسد ، فغيره أولى فهم لا ترجى سؤالاتهم أصلا فكيف تتخذونهم بطانة ؟ والقول بأنَّه لا يبعد أن يقال : إنَّ ذلك إشارة إلى أنَّ ما يصيبهم من الخير بالنِّسبة إلى لطف الله – تعالى– معهم خير قليل ، وما يصيبهم من السَّيئة بالنِّسبة لما يقابل به من الأجر الجزيل عظيم بعيد كما لا يخفى . وإن تصبروا على أذاهم أو على طاعة الله – تعالى– ، ومضض الجهاد في سبيله ، وتتَّقوا ما حرَّم عليكم ؛ لا يضرُّكم كيدهم". (الألوسي ، 1415هـ، 256/2)

ومنه تقديم موسى على هارون في موضع كما في الآيات : چپ مُوسَىٰ پچ، [الأعراف: ١٢٢] چک گ گ گ گ چ [الصافات: ١١٤] وعكس ذلك في قوله تعالى: چ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا ک ک ک ک گ گ چ، [طه: ٧٠] ففائدة أخرىخلاف الّتي ذكرناها في موضع سابق من هذا البحث ، وهي إعادة القصّة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدّي معنى واحدًا، وذلك من التّفنُّن، فإنّ ذلك أمر صعب تظهر به الفصاحة والبلاغة. " ولهذا أعيدت كثير من القصص على ترتيبات متفاوتة تنبيهاً بذلك على عجزهم عن الإتيان مبتدأ ومتكرِّرا بمثله. ولو أمكنتهم المعارضة لقصدوا تلك القصَّة ، وعبّروا عنها بألفاظ لهم تؤدّي إلى تلك المعاني" . (التهانوي ، 1996م ، 933/1)

ثانيا زيادة المعاني:

كثيرًا ما يأتي التّفنّن ليضيف معنى تفيده هذه المغايرة بين الألفاظ ، أو التّراكيب الّتي تبدو في الظّاهر وكأنّها تفيد المعنى نفسه ، فمن ذلك جاء التّركيب هنا: چ د د وَإِيَّاهُمۡۖ چ [الأنعام: ١٥١]، واختلف في: چ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ چ [الإسراء: ٣١] ، فيمكن أن يكون ذلك من التّفنُّن في الكلام ، ويمكن أن يقال في هذه الآية جاء (مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ) ، فظاهره حصول الإملاق للوالد لا توقُّعه وخشيته وإن كان واجداً للمال ، فبدأ أوّلاً بقوله : (نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ) خطاباً للآباء ،وتبشيراً لهم بزوال الإملاق ، وإحالة الرِّزق على الخلّاق الرَّزاق ، ثمّ عطف عليهم الأولاد. وأمَّا في الإسراء فظاهر التّركيب أنّهم موسرون ، وإنَّ قتلهم إيَّاهم إنَّما هو لتوقُّع حصول الإملاق والخشية منه ؛ فبدئ فيه بقوله : (نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ) إخباراً بتكفُّله تعالى برزقهم فليس الآباء من يرزقهم ، وعطف عليهم الآباء وصارت الآيتان –مع التّفنُّن في التّعبير – تفيدان معنيين:أحدهما أن الآباء نُهوا عن قتل الأولاد مع وجود إملاقهم. والآخر : أنّهم نُهوا عن قتلهم وإن كانوا موسرين لتوقُّع الإملاق وخشيته . وكما قيل "وحمل الآيتين على ما يفيد معنيين أولى من التّأكيد". (أبو حيان ،1420هـ ، 4/ 687)

ومن التَّفنُّن الَّذي تأتي فيه زيادة المعنى للتَّنويه قوله سبحانه عن آل لوط دون تسميتهم اكتفاء بالإشارة إلى صفاتهم الَّتي تستحقُّ التَّنويه بها : چڤ مَن ڤ ڤ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكۡنَا ڃ ڃ ڃ ڃ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ڃ . [الذاريات: ٣٥ – ٣٧] فيلاحظ أنَّه أشار إليهم بصفاتهم (الإيمان والإسلام) دون أن يقول : فأخرجنا لوطاً وأهل بيته ؛ فحدث التَّفنُّن في التَّعبير قصداً للتَّنويه بشأن الإيمان والإسلام ؛ أيأنَّ اللَّه نجَّاهم من العذاب لأجل إيمانهم بما جاء به رسولهم ، لا لأجل أنَّهم أهل لوط ، وأنَّ كونهم أهل بيت لوط ؛ لأنَّهم انحصر فيهم وصف المؤمنين في تلك القرية .

قال ابن عاشور " والمؤمن: هو المصدِّق بما يجب التَّصديق به . والمسلم المنقاد إلى مقتضى الإيمان ولا نجاة إلَّا بمجموع الأمرين ، فحصل في الكلام التَّفنُّن في الألفاظ الإشارة إلى التَّنويه بكليهما وإلى أنَّ النَّجاة باجتماعهما". (ابن عاشور ، 1984 ، 8/27)

كما يجيء التَّفنُّن في التَّعبير بالمغايرة بين الألفاظ لزيادة معنى يستلزمه اختلاف التَّعبير بما يتناسب مع السِّياق يلحظه أهل العلم كما في لفظة : (فَأَرَدتُّ) في قوله جلَّ ثناؤه : چگ گ گ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ڃ . [الكهف: ٧٩] ولفظة (فَأَرَدْنا) في :چوَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ڃ. [الكهف: ٨٠ – ٨١] ولفظ (فَأَرَادَ رَبُّكَ) في قوله : چوَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا د د رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا ى ى ي ي چ [الكهف: ٨٢] . فقد جاء في بعض التَّفاسير ما يفيد زيادة المعنى بالتَّفنُّن في المغايرة بين الألفاظ . وخلاصته أنَّ الأوَّل: لمَّا كان إفساداً محضاً عبَّر فيه بقوله: (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) أدباً مع الله . والثَّاني: لمَّا كان فيه نوع إفساد، ونوع إصلاح عبَّر فيه بقوله: (فَأَرَدْنا ...). والثَّالث: لمَّا كان إصلاحاً محضاً ، ونعمة من الله عبَّر فيه بقوله: (فَأَرَادَ رَبُّكَ) (الأرمي ،2001م ، 27/17).

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: چ گ گ گ گ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ چ [الأعراف: ١١١– ١١٢] . وفي الشعراء: چقَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ ى ى ي يچ [الشعراء: ٣٦–٣٧] . ففي الأعراف قيل (وأرسل) ، وفي الشعراء (وابعث) . وكلاهما معلوم المراد، لفائدة فياختلاف اللَّفظين، فكما قال ابن جماعة : " مع التَّفنُّن في الكلام، أن (أرسِلْ) أكثر تفخيماً من (ابعث) وأعلى رتبة لإشعاره بالفوقيَّة. ففي الأعراف حكى قول الملأ لفرعون، فناسب خطابهم له بما هو أعظم رتبة، تفخيماً له. وفي الشُّعراء صدَّر الكلام بأنَّه هو القائل لهم، فناسب تنازله معهم ومشاورته لهم، وقولهم (ابعث) . (ابن جماعة ، 1990م ، 186)

ثالثاً : مراعاة حسن النَّظم

ومن الخصائص الأسلوبيَّة البيِّنة في القرآن التَّفنُّن في صور الكلام ، والتَّصرُّف في ألفاظه وتراكيبه ؛ بما يجعل الكلام أبلغ وأجمل من حيث نظمه ، كما يتَّضح في نحو قوله تعالى: چفِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِ ﴿٩﴾ ي ي رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةٗچ [الحاقة: ٩ – ١٠] ، " فإفراد رسول مراد به التَّوزيع على الجماعات، أي رسولاللَّه لكل جماعة منهم، والقرينة ظاهرة ، وهو أجمل نظماً من أن يقال: فعصوا رسول ربِّهم، لما في إفراد رسول من التَّفنُّن في صيغ الكلم من جمع وإفراد تفاديًا من تتابع ثلاثة جموع ؛ لأنَّ صيغ الجمع لا تخلو من ثقلولقلَّة استعمالها. (ابن عاشور،1984، 122/29)

وفي قوله تعالى : چوَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ چ [غافر: ٥٨] . قيل بأنَّ المراد : ما يستوي الأعمى والبصير ؛ أي الغافل عن معرفة الحقِّ في مبدئه ومعاده ، ومن كانت له بصيرة في معرفتهما.والَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات أي المحسن ؛ ولذا قوبل بقوله تعالى: ولا المسيء وعدل عن التَّقابل الظَّاهر كما في الأعمى والبصير مع ما في النَّظم من جمال إشارة إلى أنَّ المؤمنين علم في الإحسان . وقدِّم الأعمى لمناسبة العمى ما قبله من نفي العلم ، وقمِّ الَّذين آمنوا بعد لمجاورة البصير ولشرفهم . وقد يجيء مثله بطرق مختلفة منها : أن يجاور كلٌّ ما يناسبه كما جاء في هذه الآية . أو أن يقدَّم ما يقابل الأوَّل ، ويؤخَّر ما يقابل الآخر كقوله تعالى : چ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ ب ٱلظُّلُمَٰتُ ب ب ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ چ [فاطر: ١٩ – ٢١]. أو أن يؤخَّر المتقابلان كالأعمى والأصمَّ والبصير كما في قوله جل ثناؤه : چ ک ک ک گ گ گگ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ چ [هود: ٢٤]، وكلُّ ذلك كما قيل : " من باب التَّفنُّن مراعاة لحسن نظم الكلام". (الألوسي، 1415هـ ، 24 / 79)

وفي قوله سبحانه : چ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ب ب أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ چ. [الأعراف: ٦٥ – ٦٦] فصلت جملة: (قالَ يا قَوْمِ) ولم تعطف بالفاء كما عطف ما يماثلها في قصَّة نوح من السُّورة نفسها (الآيات 61–64) ؛ لأنَّ الحال اقتضى هنا ما يعرف بالاستئناف البيانيّ لأنَّ قصَّة هود جاءت بعد قصَّة نوح الَّتي ذكرت فيها دعوته قومه فصار السَّامع مترقِّبًا معرفة ما خاطب به هود قومه حيث بعثه اللَّه إليهم، فكان ذلك مثار سؤال في نفس السَّامع بأن يقول مثلاً : فماذا دعا هود قومه وبماذا أجابوا؟ فيكون الجواب بأنَّه قال: يا قوم اعبدوا اللَّه ... إلخ ، " مع ما في هذا الاختلاف من التَّفنُّن في أساليب الكلام، ولأنَّ الفعل المفرَّع عنه القول بالعطف لمَّا كان محذوفا لم يكن التَّفريع حسنًا في صورة النَّظم. والرَّبْطُ بين الجمل حاصل في الحالَّتين لأنَّ فاء العطف رابط لفظيٌّ للمعطوف بالمعطوف عليه، وجواب السُّؤال رابط جملة الجواب بجملة مثار السُّؤال ربطاً معنويًّا" (ابن عاشور،1984م ، 8– ب/ 201) .وذلك يعني أنَّ حسن نظم الكلام الَّذي يليق بالقرآن يقتضي هنا الاكتفاء بالرَّابط المعنويِّ، فلا ضرورة تستوجب الرَّبط اللَّفظي بالفاء .

رابعا : مناسبة السياق

إنَّ فضل الكلام لا يقاس باللَّفظ والمعنى فقط ، ولا يمكن أن يكونا وحدهما . مجرَّدين . موطن البراعة ؛ لأنَّ في هذا إهمالاً للعنصر الثَّالث الَّذي سمَّاه الخطابي بالرِّباط النَّاظم ، (الخطابي ، 1976م ،27) وهو ترتيب الألفاظ ، وربطها في سياق واحد باعتبار أنَّ السِّياق هو الحقيقة الأولى ، والكلمة خارج السِّياق لا تفيد شيئاً ، وفائدة البلَّاغويِّ إنَّه يحوِّل معنى الكلمة من التَّعدُّد والاحتمال إلى التَّحديد والتَّعيين.

والسِّياق يوضِّح كثيراً من الإجابات عن الأسئلة. فعلى سبيل المثال عندما نرى آيتين تختلفان في كلمة ، أو في ذكر أو حذف، أو تقديم و تأخير، أو في فواصل الآيات ... ونحوه فالرُّجوع إلى السِّياق يوضِّح هذا الأمر كثيراً (السامرائي ، 2003م ، 113).

ومن التَّفنُّن مراعاة للسِّياق ذكر حرف في موضع وحذفه في آخر ففي الآية :

چ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ چ ، [البقرة: ٢٦٢] حذف الفاء من (لهم أجرهم) ، وأمَّا في الآية : چ ٱلَّذِينَ

يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا د د وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ چ [البقرة: ٢٧٤] ، فقد ذكرت الفاء في (فلهم أجرهم) ؛ لأنَّ السِّياق في الآية الثّانية يقتضي الذّكر. وذكر الفاء هنا من أغراضه التّوكيد بدليل قوله بـ(اللّيل والنّهار سرّاً وعلانية) ففيه توكيد وتفصيل في الإنفاق ودلالة على الإخلاص ، فاقتضى السِّياق زيادة التّوكيد ؛ لذا جاء بالفاء في مقام التّوكيد والتّفصيل.

ومنه التّفنّن بالتّقديم والتّأخير ، ففي القرآن مثلا " قديقَدَّم لفظ في موضع ويؤخَّر في آخر لكون السِّياق في كلّ موضع يقتضي ما وقع فيه" (السيوطي ،1974م، 47/3) كما قال السُّيوطي . فالتّقديم والتّأخير لا يأتي إلّا لسبب ، والسِّياق قد يكون الحاكم والموضّح للأمور. فمثلاً إذا كان سياق الكلام أو الآية في العمل يقدَّم العمل وإذا لم يكن السِّياق في العمل أو إذا كان الكلام على الله سبحانه وتعالى وصفاته تقدَّم صفته. فمن باب تقديم العمل على البصر ما جاء في الآية : چوَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ چ[البقرة: ١١٠] ، وفي : چفَٱسۡتَقِمۡ ژ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ ک ک ک گ گ گ گ چ[هود: ١١٢] الكلام على العمل فقدِّم العمل ، وكذلك في : چگ گ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ چ[سبأ: ١١] قدِّم العمل، وفي : چٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ چ[فصلت: ٤٠] . وإذا كان الكلام ليس في السِّياق عن العمل أو كان الكلام على الله تعالى وصفاته تقدَّم صفته. كما في : چ ٱ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ ب ثُمَّ ب ب عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ چ [المائدة: ٧١] لا يوجد عمل، وكذلك چإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ چ [الحجرات: ١٨] يتكلّم عن الله تعالى فيقدِّم صفة من صفات الله تعالى.

ومن التّفنّن بالتّقديم والتّأخير لمناسبة السِّياق قوله تعالى : چكَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ د د فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ چ [البقرة: ١٥١ – ١٥٢]

فهنا قدِّمت جملة (وَيُعَلِّمُكُم الكتاب والحكمة) على جملة (وَيُزَكِّيكُم) عكس ما جاء في آية سابقة في حكاية قول إبراهيم: چرَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ چ چ چ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ چ ؛ [البقرة: ١٢٩] لأنَّ السِّياق هنا للامتنان على المسلمين ، " فقدِّم ما يفيد معنى المنفعة الحاصلة من تلاوة الآيات عليهم ، وهي منفعة تزكية نفوسهم اهتماماً بها ، وبعثاً لها بالحرص على تحصيل وسائلها وتعجيلاً للبشارة بها . أمَّا في دعوة إبراهيم فقد رتّبت الجمل على حسب ترتيب حصول ما تضمَّنته في الخارج ، مع ما في ذلك التّخالف من التّفنّن " (طنطاوي ، 1997م ، 1 /308) .

وقد يكون التّفنّن لمناسبة السِّياق في فواصل الآي ، ومن الشّواهد على ذلك قوله تعالى : چژ جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا ک ک ک ک گ گ گ گ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ چ [آل عمران: ١٢٦] . وقوله : چ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ ف ٱللَّهِ ف ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ چ [الأنفال: ١٠] ، ففي الآية الأولى أثبت (لكم) بعد الفعل (ولتطمئن)وفي الثّانية حذفه لأنَّ القصة في آل عمران مسهبة وفي الأنفال موجزة ، فناسب ذلك الحذف، وفي الثّانية قدَّم (به) على (قلوبكم) وأخَّره في الأولى ، وكلُّ ذلك على سبيل التّفنّن والاتّساع في الكلام

ومناسبة السِّياق . ويضاف لما سبق أنَّه " هنا جاء (أنَّ الله عزيز حكيم) مراعاة لأواخر الآي ،وهناك ليست آخر آية لتعلُّق يقطع بما قبله ، فناسب أن يأتي (العزيز الحكيم) على سبيل الصِّفة " (أبو حيان ، 1420هـ ، 5/ 280).

خامسا : التناسب المعنوي

التَّفنُّن في نظر كثير من العلماء لا بدَّ أن تكون له نكتة ، وأثر في أداء المعنى وتناسب معه في الموضع المعيَّن . بل ذهب بعضهم إلى أنَّ القول بالتَّفنُّن مجرَّداً دون نكتة إنَّما هو عكازة أعمى حينما وقف على قوله تعالى : چأَفَمَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ب ٱللَّهُ پ پ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَچ [الجاثية: 23] . قال : "فجعل البصر مختوماً عليه بالغشاوة، فإن قلت هل في تغاير أسلوب ما هنا، وثمة نكتة غير التَّفنُّن، فإنَّه عكازة أعمى. قلت: لما ذكر هنا الكتب السَّماوية ، وهداية من اهتدى بها من المؤمنين، وهم السُّعداء أزلاً وأبداً ، ثمَّ عقَّبهم بأضدادهم الَّذين لم يفدهم الإنذار أصلاً ، بيَّن ذلك وعلَّله بأنَّ مشاعرهم مجبولة على الغواية، وعدم قبول الحق . وأفاد أنّ بصرهم وبصيرتهم مستمرَّة ثابتة على عدم نظر الآيات البيِّنات قبل الدعوة وبعدها، فلذا عدل فيها إلى الاسميَّة، أو ترك التَّصريح بالفعل، وثمة ذكر من عرف الحقَّ، ثمَّ عدل عنه كأهل الكتاب الَّذين لمَّا جاءهم ما عرفوا كفروا به، فناسب التَّصريح بتجدُّد الغشاوة ، ولذا صدِّرت بقوله أفرأيت ، وقدَّم السَّمع فيها " (الشهاب الخفاجي،1283هـ،296/1).

ويظهر التَّفنُّن للتَّناسب المعنويِّ في قوله تعالى : چوَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ چ چ چ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ژ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن ک ک ک ک گ گ گ گ يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ چ [آل عمران: ١٧٦ – ١٧٨] ففي الآيات الثَّلاث التَّفنُّن في وصف العذاب بين عظيم، وأليم، ومهين، والأليم : ذو الألم، والمهين: ذو الإهانة، وكما قيل " وهذه الأوصاف يتوارد بعضها على بعض كما لا يخفى، وهذا لا يمنع مناسبة كلّ وصف لآيته، ككون الجزاء بالعظيم على المسارعة في الكفر ; لأنَّ من شأن المسارعة أن تكون في العظائم، وبالأليم على شراء الكفر؛ لأنَّ المشتري المغبون يتألَّم، وبالمهين على ازدياد الإثم بالإملاء، لأنَّ من ازدادوا إثماً ما كانوا يطلبون إلَّا العزَّ والكرامة". (رضا ، 1990م ، 207/4)

وقال تعالى : چأَوَلَمْ يَرَوْا۟ ژ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ک ک ککک گ گ گ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ چ [الروم: ٣٧] ، وفي موضع آخر : چگ گ گ گ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ چ [الزمر: ٥٢] . وسبب المغايرة بين الآيتين بين (أَوَلَمْ يَرَوْا) و (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا) أن بسط الرزق وقبضه مما يرى ويشاهد، فجاء في الآية الأولى على ذلك المعنى . وفي الثَّانية جاءت بعد قوله تعالى: چقَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ ف عِلْمٍ عِندِىٓۚ چ [الزمر: ٤٩] فناسب (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا) ، مع فصاحة التَّفنُّن كما قيل. (ابن جماعة ،1990م ،295)

وقوله تعالى : چ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَاچ [البقرة: ٣٥] ، وفي سورة أخرى : چ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا چ [الأعراف: ١٩] ، فجاءت في الأولى (وكلا) ، وفي الثَّانية : (فَكُلا) بالفاء . قيل: " لأنَّ السُّكنى في البقرة الإقامة وفي الأعراف اتِّخاذ المسكن ، فلمَّا نسب القول إليه تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَم) ناسب زيادة الإكرام بالواو الدَّالَّة على الجمع بين السُّكنى والأكل لذا قال فيه " رَغَدًا" وقال: (حَيْثُ شِئْتُمَا) لأنَّه أعمُّ وفي الأعراف (وَيَا آدَم) فأتى بالفاء الدَّالَّة على ترتيب الأكل على السُّكنى المأمور باتِّخاذها ؛ لأنَّ الأكل بعد الاتِّخاذ ، و(من حَيْثُ) لا تعطي عموم معنى (حَيْثُ شِئْتُمَا)" (السيوطي ،1974م، 3 / 391).

ومن التَّفنُّن للتَّناسب المعنويِّ ما جاء في قوله تعالى : چقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا چ [البقرة: ١٣٦]. وفي سورة أخرى : چ ٱ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ پ چ [آل عمران: ٨٤] ؛ لأنَّ الأولى خطاب للمسلمين والثَّانية خطاب للنَّبيِّ ρ . و (إلى) ينتهى بها من كلِّ جهة و (على) لا ينتهى بها إلَّا من جهة واحدة وهي العلُوُّ . والقرآن يأتي المسلمين من كلِّ جهة يأتي ملبِّغه إيَّاهم منها وإنَّما أتى النَّبيَّ ρ من جهة العلوِّ خاصَّةً فناسب قوله: (عَلَّينا) ولهذا أكثر ما جاء في جهة النَّبيِّ ρ بـ (على) ، وأكثر ما جاء في جهة الأمَّة بـ (إلى) . (ابن جماعة ،1990م ، 107)

ومنه قوله تعالى : چنَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ چ [آل عمران: ٣] ، فقال (نزَّل) مع الكتاب ؛ أي القرآن (وَأَنْزَلَ) مع التَّوراة والإنجيل ؛ " لأنَّ الكتاب أنزل منجَّماً ، فناسب الإتيان بـ (نَزَّلَ) الدَّالُّ على التَّكرير بخلافهما؛ فإنَّهما أنزلا دفعة" كما قيل. (السيوطي ، 1974م ، 394/3).

سادسا : تجديد نشاط السَّامعين

أشار أبو السُّعود لاتِّباع القرآن سنن العرب في كلامها بالتَّفنُّن في الأساليب ، والتنويع بينها ، وذلك في مواضع منها قوله عن المخالفة في إعراب بعض المنصوبات والمرفوعات في القرآن بالقطع عن إعراب ما قبلها مدحاً أو ذماً ، قال : " فقد خولف للافتنان أي للتَّفنُّن الموجب لإيقاظ السَّامع وتحريكه إلى الجدِّ في الإصغاء ، فإنَّ تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني ، وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلِّم ، ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب" .(أبو السعود ، 1928م ، 1/ 35)

وفي ذلك يقول ابن عاشور : " ومن أساليبه ما أسمِّيه بالتَّفنُّن وهو بداعة تنقُّلاته من فَنٍّ إلى فنٍّ بطرائق الاعتراض والتَّظير والتَّذليل والإتيان بالمترادفات عند التَّكريرِ تجنُّبا لثقل تكرير الكلم ، وكذلك الإكثار من أسلوب الالتفات المعدود من أعظم أساليب التَّفنُّن عند بلغاء العربيَّة فهو في القرآن كثير، ثمَّ الرُّجوع إلى المقصود فيكون السَّامعون في نشاط متجدِّد بسماعه وإقبالهم عليه" . (ابن عاشور 1984م ، 1 / 116)

وممَّا نصَّ فيه على ما يحصل به تجديد نشاط السَّامعين قوله في الآية چ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا چ، [النحل: 84] وفي السُّورة نفسها : چ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ چ . [النحل : ٨٩] قال: " وعدِّي فعل نبعث هنا بحرف في، وعدِّي نظيره في الجملة السَّابقة بحرف (من) ليحصل التَّفنُّن بين المكرَّرين تجديدًا لنشاط السَّامعين". (ابن عاشور ، 1984م ، 14 /250)

وأظهر ما يكون تجديد نشاط السَّامعين في المراوحة بين أساليب الخبر والإنشاء، والإيجاز والإطناب ، والحقيقة والمجاز وتنويع أساليب الحكاية في القصص، والسَّجع والإرسال ، وألوان الخطاب كما في الالتفات الَّذي يقول عنه الزَّمخشريّ في حديثه عن قوله تعالى: چإِيَّاكَ نَعۡبُدُ چ [الفاتحة : 5] ، إذ قال عن الالتفات في الآية بأنَّ الرُّجوع من الغيبة إلى الخطاب إنَّما يستعمل " على عادة افتنانهم في الكلام وتصرُّفهم فيه ؛ ولأنَّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السَّامع ، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد" .(الزمخشري ،1407هـ ، 14/1)

وما نصَّ عليه الزَّمخشري في العبارة السَّابقة سمَّاه ابن عرفة فائدة بيانيَّة تتمثَّل كما قال في أنَّ الكلام " لو أجري على أسلوب واحد لم يكن فيه تلك اللَّذاذة ، وإذا اختلف أسلوبه ألقى السَّامع إليه سمعه ، وهو تنبيه وطلب إحضار ذهنه من قريب ومن بعيد". (ابن عرفة ،2008م، 39/1)

وممَّا استشهد به على هذه الميزة الَّتي تتحقَّق بالالتفات قوله تعالى: چإِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ چ [الفاتحة : 5] . وقيل : " فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب على سبيل التَّفنُّن في الكلام، لأنَّه أدخل في استمالة النُّفوس، واستجلاب القلوب، وهذا

الالتفات ضرب من ضروب البلاغة ، ولو جرى الكلام على الأصل لقال (إيَّاه نعبد) فعدل عن ضمير الغائب إلى المخاطب لنكتة الالتفات ومثله قوله تعالى:چوَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا چ [الإنسان: 21] ، ثمَّ قال:چى ى ي ي جَزَآءٗ چ . [الإنسان: 22] وقد يكون الالتفات من (الخطاب) إلى (الغيبة) كما في قوله تعالى: چڤ ڤ ڤ ٱلَّذِى ڤ ڤ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ چ [يونس: 22] ، فقد كان الكلام مع المخاطبين، ثمَّ جاء بضمير الغيبة على طريق الالتفات....فيكون في هذا الخطاب من التلطُّف على بلوغ المقصود، ما لا يكون في لفظ إيَّاه " . (الصابوني ، 1980م ، **(40/1**

الخاتمة

ناقش البحث فيما سبق مفهوم التَّفنُّن الَّذي يقوم على تنويع الأساليب ، مع التَّصرُّف والتَّوسُّع فيها بالمغايرة بين طرائق القول كما يظهر من أقوال العلماء الَّذين وقفوا عند هذه الظَّاهرة في الكلام العربي . كما وقف عند معرفة العرب واستعمالاتهم المختلفة للتَّفنُّن في الكلام ودواعي نقله من أسلوب إلى أسلوب . كما وقف الباحث عند شيوع ظاهرة التَّفنُّن في النَّصِّ القرآنيِّ باعتبار أنه كان جزءًا من طريقة القرآن ، بل باباً من أبواب الإعجاز . ثمَّ فصل الباحث في دواعي ذلك التَّفنُّن مقتصرًا على بعضها لضيق المقام ولكفايتها في الدَّلالة على المراد مع عرض الشَّواهد ومناقشتها ، ممَّا قاد إلى جملة نتائج تمثَّلت في :

- الإعجاز والتَّحدِّي للعرب فيما يحسنون ، وليكون بذلك حجَّة عليهم.
- زيادة المعاني الَّتي تفيدها هذه المغايرة بين الألفاظ أو الأساليب الَّتي تبدو في الظَّاهر وكأنَّها تفيد المعنى نفسه ، أو لزيادة معنى يستلزمه اختلاف التَّعبير بما يتناسب مع السِّياق .
- مراعاة حسن النَّظم ، وذلك بالتَّفنُّن في صور الكلام ، والتَّصرُّف في ألفاظه وتراكيبه؛ بما يجعل الكلام أبلغ وأجمل نظمًا .
- مناسبة السِّياق بذكر حرف في موضع وحذفه في آخر ، ومنه التَّفنُّن بالتَّقديم والتَّأخير ، و كذلك بتجنُّب تكرار الألفاظ والتَّراكيب.
- التَّناسب المعنويُّ بأن تكون للتَّفنُّن نكتة ، وأثر في أداء المعنى وتناسب معه في الموضع المعيَّن بحيث يستخدم لفظ دون آخر مراعاة لذلك الموضع.
- تجديد نشاط السَّامعين وذلك باتِّباع سنن العرب بالتَّفنُّن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطاً للسَّامع ، والمخالفة للافتنان الموجب لإيقاظ السَّامع وتحريكه إلى الجدِّ في الإصغاء

المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : الكتب

- ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري) ، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، تحقيق: مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي 1375هـ .
- ابن جماعة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله) ، كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف دار الوفاء . المنصورة الطبعة الأولى، 1410 هـ / 1990 م.
- ابن حيان (أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف) ، تفسير البحر المحيط ، الأندلسي تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ، 1420 هـ .
- ابن عجيبة (أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي) ، البحر المديد ، دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الثانية 1423

هـ – 2002 م .

• ابن عاشور(محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر) ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر – تونس1984 هـ .

• ابن عرفة (أبو عبد الله محمد بن محمد الورغمي)، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى 2008م.

• أبو السعود (محمد بن محمد العمادي) ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود) ، دار العصور للطباعة والنشر ، مصر ، 1928م .

• الأرمي (محمد الأمين بن عبد الله) ، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1421 هـ – 2001 م

• الألوسي (شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى 1415 هـ .

• الباقلاني (القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم) ، الانتصار للقرآن، تحقيق: د. محمد عصام القضاة دار الفتح – عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت الطبعة الأولى 1422 هـ .

• التهانوي (محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي) ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم تحقيق: د. علي دحروج مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة الأولى – 1996م.

• الخطابي (أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم) ، بيان إعجاز القرآن ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (16)] ، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة 1976م .

• الخفاجي (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي) ، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ، الطبعة الخديوية ، تصوير دار صادر – بيروت ، 1283هـ.

• الرافعي (مصطفى صادق) :

– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثامنة ، 1425 هـ – 2005 م .

– تاريخ آداب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1421هـ – 2000م .

– تحت راية القرآن ، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ، الطبعة الأولى 1423 هـ – 2002 م .

• رضا (محمد رشيد) ، تفسير المنار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990 م .

• الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة – 1407 هـ

• السامرائي (د. فاضل صالح) ، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، دار عمار ، عمان الأردن الطبعة الثالثة ، 2003 م.

• السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1394هـ/ 1974 م .

• الصابوني (محمد علي) ، روائع البيان تفسير آيات الأحكام ، مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت ، الطبعة الثالثة، 1400 هـ – 1980 م .

• صافي (محمود بن عبد الرحيم) ، الجدول في إعراب القرآن الكريم ، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت الطبعة الرابعة، 1418 هـ .

- طنطاوي (محمد سيد) ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ، الطبعة الأولى 1997 م .
- الطيار (د. مساعد بن سليمان بن ناصر) ، الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي ، الناشر: دار ابن الجوزي ، الطبعة الثانية، 1433 هـ .
- القاسمي (محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق) ، محاسن التأويل ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى 1418 هـ .

ثالثا : المجلات

ص 63-64).

- الريح (صديق مصطفى) ، ظاهرة التفنن في النص القرآني ظاهرة التفنن في النص القرآني مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية ، المجلد الخامس والعشرون ، العدد الثاني ، ربيع الثاني 1438هـ – يناير 2017م .
- الزيات (أحمد حسن) ، مجلة الرسالة ، العدد 41 .